«الدياسبورا» اليهودية والتشتت الفلسطيني

محمد الجندي

قبل السبي البابلي تعرض اليهود القدماء في فلسطين عام ٧٠١ ق. م. للسبي الآشوري على يد الملك سنحاريب.

ورغم الدمار، الذي يُروى أنه حل نتيجة ذلك في البلاد، يظهر أن الحكام تكيّفوا مع الغزو، ورضوا بالبقاء في ظل الآشوريين، يدفعون لهم الجزية، ويرسلون القوات إلى الحرب، والمشاركة في غزوات الملكين الآشوريين ايسرحدّون وآشور بانيبال.

يظهر أيضاً أن مناسّا (ملك اليهودية Judah ، بالمشاركة منذ ٦٩٧ ق. م.، ومنفرداً منذ ٦٨٧ ق. م.، وحتى ٦٤٢ ق. م.) انسجم مع الآشوريين، لدرجة أنه أدخل عباداتهم وايقوناتهم الى المملكة، فامتلأت المدن والأرياف بالمعابد والكهنة الوثنيين ودخلت الى بلاطه، والى البيوت الارستقراطية، العادات والازياء وطرق الحياة الآشورية.

واستفاد مناسّا، على ما يبدو، من ذلك، فيقال ان عهده، الذي دام، عملياً، ٥٥ سنة، اتصف بالازدهار، ولم يعكره سوى بعض المجازر التي يشار، تاريخياً، الى انها ربما كانت ضد التيار المعادي للتجديد الديني الممثل بالملك وارستقراطيته.

بعد موت آشور بانيبال في ٦٢٧ ق. م. خبت القوة الآشورية ليعلو نجم البابليين الجدد.

في الوقت عينه، ظهر ان التيار المعادي للتجديد الديني في اليهودية انتصر بعد موت مناسّا، وتمثل ذلك بقتل الملك عامون بن مناسّا، وخلفه، بعد عامين من حكمه نتيجة ثورة في قصره، وتنصيب ابنه يوشيا في ٦٤٠ ق. م. مكانه.

انعطف يوشيا في ولائه من الآشوريين الى البابليين، وقام بالاستعانة مع بعض الكهنة (الوجه البارز بينهم كان حلقيا) بما يشبه «الثورة» على النفوذ الآشوري وعلى الطقوس الآشورية، ليعود بالبلاد الى عبادة «يهوه».

اصطدم يوشيا، نتيجة ذلك، بالملك المصري، نخو الثاني (٦١٠ ـ ٥٩٥ ق. م.)، الذي أرسل حملة بحرية على سورية لمساعدة الجيوش الآشورية. جرت معركة بين القوات اليهودية والجيش المصري في مجدّو Magiddo (فلسطين)، فقتل الملك يوشيا، وعين الملك نخو ملكاً موالياً لمصر على اليهودية.

شؤون فلسطينية، العدد ١٥٨ ـ ١٥٩، ايار/حزيران (مايو/يونيو) ١٩٨٦